

المملكة العربية السعودية وزارة التعليم جامعة القصيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وحدة خدمة المجتمع

تدبر القرآن [وسائله - مظاهره - الصوارف عنه]

د. عبدالعزيز بن عبدالله النملة
الأستاذ المشارك بقسم أصول الفقه ١٤٤١/٩/٢٧هـ

الحمدُ لله الذي أنزلَ على نبينا محمدٍ خير كتبه هدى ورحمة، والصلاة والسلام على المبعوثِ رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته أجمعين أما بعد:

فإن تدبر القرآن من أفضل الأعمال التي جاء الحث عليها، والتدبر: شعورٌ ينبض في القلب حال قراءة القرآن، ومورد يُنهل منه كل خير، وحقيقةُ التدبر هو: معرفة معاني الألفاظ، وما يُراد بها، وتأمل ما تدلُّ عليه، والاعتبار بحججه، والتأثرُ ببشائره، والخوفُ من زواجره، والخضوع لأوامره، واليقين بأخباره؛ ولتحقيق هذا الهدف المهم، والمقصد العظيم هذه وقفات يسيرة:

أولاً: وسائل تدبر القرآن.

١ –معرفةُ عظمة القرآن، واستحضار بركته.

فقد وصف الله -عز وجل- القرآن الكريم في محكم التنزيل بأنه: مبارك، ونور، وبصائر، وشفاء، وهدى، وبشرى، فعلى القارئ أن يتهيأ لذلك عند الشروع في القراءة، ويستشعره بالخوف والرجاء، عسى أن يظفر بالمقصود من إنزاله.

٢ – معرفة فوائد التدبر، وضرر تركه.

ذلك أن في القلب حاجة لا يسدها إلا التلذذ بكلام الله -عز وجل- وكريم خطابه،

يقول ابن القيم: "فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر" كما حذَّر أهل العلم من خطر ترك التَّدبر، وفي ذلك يقول مالك بن دينار: "ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب"، وقد تعوَّذ النبي عَلَيُّ -كما في صحيح مسلم- من قلب لا يخشع.

٣- المعرفة بالتفسير، وفهم معاني الآيات.

فمن لا يعرف معنى الآية بوضوح يصعب عليه تدبرها، ويدخل في ذلك النظر في غايات الآيات، والتأمل في الواقع الذي نزلت فيه، وأثرها حال نزولها، ويتذكر مواقف الصحابة في معها من خلال معرفة أسباب النزول، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "تدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن"، ويقول العلامة الشنقيطي: "فإذا علمت أيها المسلمأن هذا القرآن العظيم هو النور الذي أنزله الله ليستضاء به، ويهدي بهداه في أرضه فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى عن النور... يجب عليك الجد والاجتهاد في تعلم كتاب الله وسنة رسوله على بالوسائل النافعة المنتجة، والعمل بكل ما علمك الله منهما علماً صحيحاً"، ومن المناسب أن يراجع القارئ تفسيراً مختصراً في كل ما يُشكل عليه فهمه، ولعل أشهرها وأيسرها: تفسير العلامة السعدي -رحمه الله تعالى-.

٤ - ترتيل القرآن والعناية بالتجويد.

فسلامة النُّطق تساعد على الفهم، وتعين على التَّدبر، ولهذا يجب على القارئ أن يتلفظ بما يقرأ، ولا يكتفى بالإمرار على القلب من غير تحريك اللسان.

٥-التفاعل مع آيات القرآن.

فإذا مر بآية فيها دعاء تضرع إلى الله -عز وجل- وإذا مر بآية فيها عذاب استعاذ بالله منه، وإذا قرأ قصة تأمل فيها، وأخذ الدروس منها.

٦-الحرص على خشوع القلب، والتأثر بالقرآن عند قراءته.

وذلك بالتأثر عند القراءة، والبعد عن الصَّوارف والملهيات، وقد كان ذلك هدي النبي عند التلاوة، فقد ذكر ابن القيم أنه لم يكن بكاؤه على بشهيق ورفع صوت، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملان، ويُسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه عند سماع القرآن بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية.

ثانياً: مظاهر تدبر القرآن.

۱ - الوقوف على المعاني، والتأثر بها، ود وصف أحدهم قراءة الفضيل بن عياض بأنها: " قراءة حزينة شهية بطيئة مسترسلة، كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل".

٢-الخشوع ورقة القلب عند القراءة، وقد سأل عبدالله بن عروة بن الزبير جدته أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله على إذا سمعوا القرآن؟ فقالت: "تدمع أعينهم، وتقشعر جاودهم كما نعتهم الله".

٣- تأمل كل آية وتكرارها عند الحاجة، وقد قال أبو ذر رهي قام النبي على الله عند الحاجة، وقد قال أبو ذر رهي قام النبي على الله المائية عند الحاجة، وقد قال أبو ذر والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تَعْفِرْ هُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴾.

ثالثاً: صوارف تدبر القرآن.

إن كثيراً من قُرَّاء القرآن الكريم تصرفهم أمور عن تدبر القرآن والعناية بذلك أثناء القراءة، ومعرفة تلك الأمور مما يساعد على الحذر منها، والبعد عنها، ومنها:

١ - أمراض القلوب والإصرار على المعاصي.

فمن اعتاد على المعاصي القلبية والعملية، ولم يتب منها، ويسأل الله -عز وجل- البعد عنها، أو جمع في قلبه ظلمة من حسدٍ أو كبرٍ، أو اتباع هوى، ونحوها، عاقه ذلك عن تدبر القرآن، والانتفاع به.

٢ - انشغال القلب، وشرود الذهن.

والشواغل أنواع كثيرة، منها شواغل دنيوية، أو أن يكون همه آخر السورة، ونحو ذلك مما يقطع حضور القلب أثناء القراءة، ومن ذلك عدم اختيار الوقت أو المكان المناسب حال القراءة، ولما عدَّ ابن القيم أنواع هجر القرآن قال: "الرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه".

٣-قصر الهمة على القراءة فقط.

فلا ترتفع همة القارئ إلا لتحقيق نطق الحروف دون التدبر، فيحرص على المبالغة في

المدود، والمخارج، وفي ذلك يقول سعيد بن جبير: "اقرؤوا القرآن صفاء لله ولا تتنطعوا فيه" وقد يكون التكلف في القراءة مدعاة إلى العجب بالنفس والعياذ بالله.

رابعاً: مواقف السلف مع تدبر القرآن.

١-صلى عمر بن الخطاب على صلاة الفجر بالناس فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ بكى حتى انقطع ووركع.

٢-ردد الحسن البصري ليلة قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: "إن فيها معتبراً ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر".

٣-قرأ الفضيل بن عياض قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارُكُمْ ثَمَ قال : "إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا، وبكى".

٤ - سمع أعرابي قارئ يقرأ قول الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِّتْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله! من أغضب الجليل حتى حلف، ألم يصدقوه في قوله؟!

وختاماً:

مما يؤكد حاجة القلب الكبيرة لتدبر القرآن الدعاء الذي يرويه عبدالله بن مسعود أن رسول الله على قال: (ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزي، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً) قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: (بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها). رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه ابن القيم والألباني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين